رسالة ملكية إلى المؤتمر
العالمي الإسلامي المسيحي الثاني بفيينا

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة الى المؤتمر العالمي الاسلامي المسيحي المنعقد بفيينا من 6 الى 9 محرم 1418 هـ موافق 13 الى 16 ماي 1997 م.

وفيما يلي النص الكامل للرسالة الملكية، التي تلاها السيد محمد الكتاني المكلف بمهمة في الديوان الملكي، خلال هذا المؤتمر:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى كافة الأنبياء والمرسلين قبله.

حضرات السادة والسيدات،

يسعدنا أن نتوجه إلى مؤتمركم العالمي الإسلامي-المسيحي الثاني بتحية الاحترام والمحبة، راجين من الباري عز وجل أن يكلل أعمالكم بالنجاح والتوفيق، كما يطيب لنا أن نتوجه بخالص الشكر وصادق التقدير إلى دولة جمهورية النمسا الصديقة، لما تبذله من جهد محمود من أجل تنظيم هذا اللقاء السلمي في هدفه ومغزاه، بعد ما عرفه اللقاء الأول فوق أرض هذه المدينة العريقة من نجاح مرموق. وما خلفه من أصداء طيبة في أرجاء المعمور. وغني عن البيان أن اجتماعكم مرة أخرى يفتح أمامنا أبواب التفاؤل بإمكان حوار مسيحي-إسلامي جاد، يطمئن نفوس المسلمين والمسيحيين على اتصال ذلك الحوار واستمراره. كما أن أنصار السلم ودعاته في العالم أجمع يتطلعون بشوق كبير إلى نتائج لقائكم لأنه لقاء دال بكل ما يحمله من رموز على إرادة الارتقاء بالإنسان إلى سامي الفضائل وشريف المقاصد.

إن إرادة الحوار، متى تمكنت من دعاته لتعبر عن مضامين حضارية سامية في الوقت الذي تكشف فيه عن التحلي بحكمة عملية غالية. ذلك أن

إرادة الحوار تعني في أخص ما تعنيه، أن كل طرف من طرفي الحوار أو أطرافه يصدر عن اعتراف بالغير وعن احترام لغيرته واختلافه، لذلك كان لا بد للحوار من أسس فلسفية يقوم عليها ومن قواعد أخلاقية يستند إليها ومن موجهات روحية يستنير بهديها. وكان لا بد له أيضا من أوفاق يقررها ومن مواثيق وعهود يلتزم بها فلا يتنكر لها أو يسعى في الإخلال بها.

ومن البديهي أن أحق الناس بالحوار وأقدرهم على مراعاة شروطه هم أولئك الذين يجتمعون حول الإيمان بالله الواحد ويلتقون عند التسليم بالقيم الروحية التي جاءت بها الرسالات السماوية ونحن المسلمين نحمد الله على أننا كذلك. والدليل هو الأمر السماوي الصريح في القرآن الذي يجمع فيه الباري تعالى في آية واحدة بين الإقرار بمحاورة أهل الكتاب وبين تعيين المنهج الواجب سلوكه في الحوار معهم قال تعالى : "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون".

بيد أن ما ألمعنا إليه من قواعد الحوار وأوفاقه يقتضي منا مسلمين ومسيحيين مراعاة شروط ثلاثة: أولها أن يلتزم كل طرف من طرفي الحوار باحترام غيرة الآخر ومراعاة الفروق في المعتقدات والاختلاف في أنماط العبادة وكيفيات تقديس الإله الواحد، ثانيها أن يحرص الطرفان على طلب المعرفة المتبادلة وهذه المعرفة لا تتم إلا بالإصغاء الذي يتطلب الفهم مع التقدير بوجوب العمل على التخلص من الأحكام المسبقة ومن الظنون والأوهام المتحكمة. وآخر الشروط الواجب مراعاتها في سبيل نجاح حوار إسلامي-مسيحي وجعله مثمرا مفيدا هو أن يسعى كل من الطرفين إلى مجاوزة ما اعترى ماضيهم المشترك من مظاهر التأزم والخصام وما كانت تفرزه طبيعة الصراع السياسي في العصور السابقة من أسباب الحروب والإساءات المختلفة. إنها والحق يقال شروط تستدعي إعدادا روحانيا عاليا وعزما أكيدا على الحوار الخصب وعلى متابعته، ولكنها ليست بالعزيزة

عليكم، وما تعدد اللقاءات الثنائية المسيحية-الإسلامية منذ مطلع السبعينات، ثم مؤتمركم العالمي الأول في فيينا في أبريل 1993 سوى علامات ناصعة على قوة إرادتكم وجميل إصراركم على إرساء الحوار المسيحي-الإسلامي على قاعدة صلبة من الوئام والمحبة والرغبة المشتركة في الأخذ بنصيب غير يسير في تشييد صرح مجتمع إنساني ينعم فيه الإنسان بما يريده له الله تعالى من نعم السلم والحرية والعدالة الشاملة.

أيها المحفل النبيل،

لقد وفقتم كل التوفيق في اختيار موضوع مؤتمركم الثاني مثلما كان التوفيق حليفكم في اختيار موضوع مؤتمركم الأول. إنكم تجعلون نصب أعينكم اليوم أن العالم الذي نعيش فيه واحد ولا يمكن أن يتعدد ويتكاثر في حين أن العدد والاختلاف في الثقافات والنحل وفي أشكال الوجود السياسي والاجتماعي ملازمان للحياة الشخصية ولحياة المجتمعات الإنسانية كلها، ثم إنكم تقررون بحق أنه لا مندوحة للبشر عن نبذ الحروب المعلنة والخفية ولا خيار لهم سوى السلام والتعايش، وإنه لا سبيل إلى السلام الإنساني إلا في قبول التعدد والاختلاف ولا استقرار فيه إلا متى عملنا على إنشاء الأسس المكينة لتعددية ثقافية اجتماعية وسياسية في العالم الواحد الذي نعيش فيه جميعا. لقد حال التنامي المتصل للتكنولوجيا في ميادين الاتصال والإعلام العالم كله إلى قرية واحدة كبيرة، وإنكم معشر السادة والسيدات الأجلاء، إذ ترفعون شعار عالم واحد من أجل الجميع وإذ تردفونه بشعار آخر يكمله ويشرحه، أسس تعددية اجتماعية سياسية ثقافية من وجهة النظر المسيحية والإسلامية أقول إذ تعلنون ذلك فأنتم تقدمون المثال على قدرة الإنسان على الارتقاء إلى درجة عالية من السمو الإنساني وعلى استطاعته متى صدقت العزائم ومجاوزة الأنانية والنظر الضيق المحدود.

أيها السادة،

إن سعيكم إلى البحث عن أسس التعددية الثقافية والاجتماعية

والسياسية الموجودة بحكم الضرورة وحرصكم على تقريب وجهات النظر المسيحية والإسلامية في شأنها إنما هو هدف عظيم يحمل أبعادا متعددة، فهو تعبير عن الحضور الإيجابي الفاعل للأديان السماوية وهو بالإضافة إلى ذلك بيان ساطع عن قدرة أبناء الديانتين العظيمتين على النظر المشترك للأسس الأخلاقية والروحية الكفيلة بجعل التعدد والاختلاف البشري في الاجتماع والسياسة والثقافة منبعا للثراء الحضاري ومدعاة للاستقرار في العالم الواحد المشترك بين بني الإنسان، وهو ما سيمكن الحوار الإسلامي المسيحي من أسباب جديدة من القوة والمتانة تغذي سيره على درب المعرفة المتبادلة واثقا في مسيرته مطمئنا إلى سواء السبيل نحو هدفه.

وإن الرجاء معقود عليكم، فأنتم صفوة المفكرين في بلدانكم والقادرون على تجسيد هذه المعاني السامية، فالمعول عليكم في مثل هذا الملتقى الكبير أن تتبادلوا الرأي والمشورة وأن تسعوا إلى تنوير الفكر ليكون لقاؤكم بعون الله مثمرا مفيدا لصالح إرساء الأسس القويمة للتعددية الايجابية المنشودة. وإننا لنطمح من وراء هذا اللقاء إلا أن تنبثق منه الخطوط العريضة لميثاق أخلاقي روحي من وحي الديانتين السماويتين العظيمتين ميثاق، يزدهي بحمل اسم هذه المدينة العظيمة التي لها في تاريخ الآداب والفنون الرفيعة ذكر مشرق وتحتل بين المدن العالمية مكانة رفيعة.

حضرات السيدات والسادة،

يشهد العالم اليوم سيرا حثيثا نحو كونية شمولية أساسها مادي اقتصادي محض ودعامتها تنافسية تجارية صرفة والعولمة هي شعارها ومبتغاها، وهذه العولمة أصبحت حديث المحافل الدولية وخطاب ملتقيات المصالح المالية والصناعية. وذلك بعد أن سكتت مدافع الحروب الاديولوجية وانطفأ لهيبها أو كاد. بيد أن هذه الصورة الجديدة لعالم يصرف نظره عما انشغل به خلال عقود كثيرة من التسابق في التسلح والتفنن فيه لا ينبغي أن توهمنا أن دعائم السلم والوئام بين بني الإنسان قد تم غرسها وأن عهد

الحرب والظلم قد ولى زمانه إلى غير رجعة، فالحق أن الآمال وحدها لا تكفي في ذلك والحق أن العولمة متى غابت عنها المواثيق الأخلاقية التي يلزم أن تكون الرابطة بين دعاتها ومتى حصل التنكر لها أو التضحية بها في سوق الأنانية والمنافسة الشرسة، فإنها تتحول إلى حرب ضروس جديدة وإن اختفت فيها الأسلحة التي تحدث القتل والدمار بشكل مباشر وهي تنقلب إلى شر مستطير يعم البلاء به الإنسانية جمعاء.

لذلك لا يغرب عن بالنا جميعا أن الأسس القومية للتعددية الايجابية لا تتحقق إلا بحرص الجميع على احترام المواثيق الأخلاقية والعهود الدولية الكفيلة بحفظ السلام في العالم فتكون لها المكانة الرفيعة في العلاقات بين الدول والمؤسسات المالية والتجارية العظمى. ومن البديهي أنه لا سبيل إلى إحقاق سلام فعلي إلا متى كان العدل والانصاف حكما ورائدا معا.

كما أن استمرار الواقع الحالي من التفاوت والاجحاف بالحقوق بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة ليس من شأنه أن يكون مدعاة للسلام والطمأنينة في العالم. فلا سلام مع الجوع والأمية والمرض والانعدام الانصاف بين البشر. وبالتالي فإنه لا مهرب لنا جميعا كل من موقعه من اثارة انتباه العقول الكبيرة وتحريك النفوس العظيمة إلى وجوب التحلي بالشجاعة والنظر البعيد ومن الافادة من دروس التاريخ القريب والبعيد ولا بد من التنبيه إلى أن السلام الحقيقي وضرورة التعايش في عالم واحد يقتضيان العمل على التقليص من الفروق المادية المهولة بين البشر في العالم حتى ينعم الكل على الأقل بالحد الأدنى من الحقوق الطبيعية في التغذية والصحة والتربية وسائر الحقوق الانسانية الاخرى المتعارف عليها دوليا.

كذلك لا ينبغي أن يغيب عنا معشر السيدات والسادة الأجلاء، أن أمل العيش في عالم واحد يسع الناس جميعا فلا يضيق باختلافهم في اللون والثقافة والدين ولا يتبرم بتعددهم في الاختيارات الاجتماعية والسياسية هو أمل الجميع. إلا أن هذا الأمل لا يكاد يرى النور مع ارتفاع نداءات الغلو

والتطرف التي تصم الآذان وتوجع القلوب باسم الدين حينا وباسم العرق حينا آخر وبداعي الوطنية الضيقة حينا ثالثا. وإنه لمن المؤسف أن تعرف الانسانية في هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين أصنافا وألوانا من ذلك كله وأن تسيل الدماء أودية ويعلو صوت الكراهية والحقد والبغضاء ثم إنه لمن دواعي الأسى حقا أنه يحدث ذلك في بلدان قطعت في التطور المادي أشواطا بعيدة بل وأن يحصل ذلك أيضا في بلاد يذكر فيها اسم الله تعالى وتقام فيها الصلوات لعبادته وتمجيده. وإن من صميم مسؤوليتكم في هذا اللقاء المبارك أن يعلو صوتكم بالاحتجاج ضد كل أشكال التطرف وكافة أنواع الغلو فهما الوباء الفتاك الذي يصيب الجهود العظيمة في تشييد أسس التعايش والسلام في العالم وهما العدو اللدود للحق في الاختلاف المشروع والتعدد في الثقافة والسياسة والاجتماع.

أيها الحضور الكريم،

تهوى أفئدة المؤمنين من أتباع الديانات السماوية الثلاث إلى بقعة طاهرة وتتحرق قلوبهم شوقا إلى الوقوف عند مشاهدها المقدسة وذكر الله الواحد المتعالي في بقاعها الزكية والتخشع باستحضار سير الأنبياء والرسل من أبناء إبراهيم الخليل عليهم السلام وتشد رحالهم إلى مدينة هي ملتقى التآخي في الله الواحد بين المسلمين والمسيحيين واليهود. وتلكم هي مدينة القدس الشريف. غير أن هذه المدينة المقدسة تعرف وضعا غريبا على روحها مؤلما لسكانها الشرعيين مهينا لكرامة الانسان فيها ذلك أن المواطنين العرب من أهل القدس الشرقية خاصة مسلمين ومسيحيين على السواء يسامون من العذاب ألوانا ومن مصادرة الحريات أشكالا فالسلطات الاسرائيلية تقدم على مصادرة العقارات والممتلكات وهي تمضي في التنكر لما التزمت به من قرارات عاملة على بناء المستوطنات وحشدها بأغراب وافدين مشحونين بالتطرف الشنيع واحتقار الغير فلا يأبهون بما يقضي به الوازع الاخلاقي ولا يكترثون بما يحكم به الضمير الديني. ثم إن تلك

السلطات ما تفتأ تظهر بين الفينة والأخرى إرادة العبث بالأماكن المقدسة والمشاهد الروحانية التي تخفق لها قلوب المؤمنين جميعا وتملأ نفوسهم بالتقديس والإجلال. فكيف يتحقق السلام مع مظاهر تنهك فيها حرمة أبناء الوطن في عاصمة السلام.

لقد استبشر العالم خيرا معشر السادة والسيدات الأجلاء بما تم التوصل إليه من اتفاق بين السلطتين الفلسطينية والاسرائيلية لتغليب الرغبة في التراضي والحوار على لغة السلاح والدمار مصفقا لما انتهى إليه الحوار من إقرار يومية لتنفيد الاتفاق وللدخول الفعلي في مسلسل السلام. ثم إن العقلاء وأنصار السلام في العالم قدروا أن الآمال المعقودة على تعميم الأمن وشيوع السلام في هذه المنطقة الغنية برموزها الروحانية ستكون الرائد والموجه للنظر في مدينة القدس الشريف، ولكن العالم أجمع لا يزال يفاجأ كل يو. بما يدل على تغليب أسباب الحرب على دواعي السلام في سلوك السلطات الاسرائيلية، وليس ما يشهده القدس الشريف من أحداث يومية مروعة سوى دليل قاطع وبرهان واضح على ذلك.

أيها السادة،

لا شك أن فكركم السامي لا يملك أن يتجاهل هذا الواقع الذي يحمل جميع المؤمنين من أتباع الديانات التوحيدية الثلاث على الاشمئزاز. ولا شك أن حديثكم عن العالم الواحد المشترك وجوبا والمتعدد ثقافة واجتماعا وسياسة ضرورة لا يكون حديثا مستوفيا لمطلب الشمول ولا مستكملا لشرط التطبيق إلا إذا كان تنبيها كافيا إلى مخاطر ما يحدث في القدس وكان دعوة إلى لزوم العمل على رفع الحيف الواقع بالمواطنين العرب فيها مسلمين ومسيحيين ومجاوزته. ثم لا شك أن ما يجمع بينكم من جليل المقصد ونبيل المسعى يحملكم على القول بأن السلام إما أن يكون سلاما قارا وقائما على أسس صلبة أو لا يكون، وأن الأسباب التي كانت مدعاة إلى الحرب والإقتتال تظل كذلك ما لم تتغلب عليها بالرفع والإقصاء إرادة السلام

وسديد النظر. ثم لا شك أن ما تحملونه في قلوبكم معشر المؤمنين والمؤمنات من عظيم الحب وجميل التقديس لمدينة السلام لحري بهما أن يجعل القدس الشريف يأخذ من جلساتكم ومناقشاتكم نصيبا تستدعيه أهميته الروحية ويقتضيه ما ينطق به من علامات ورموز ويمليه ما يلزم له حتى يكون صدقا لا ادعاء فيكون في الوسع الحج إلى المدينة الطاهرة في حرية وأمان والتزود من نفحاتها الروحية والارتواء من معين عطائها الديني ولا يتحقق ذلك إلا في اطمئنان حقيقي إلى شيوع السلام في أرجائها.

تلكم معشر السادة والسيدات العلماء الكرام نظرات وأفكار يطيب لنا أن نقدمها بين يدي نجواكم فنحيي بها جمعكم ونعبر بها عن مشاطرتنا همكم وانشغالكم. يحدونا في ذلك إماننا بسمو مسعاكم ويحركنا اقتناعنا المكين بجدية الحوار المسيحي الاسلامي وقدرته على تحريك الهمم العظيمة وتوجيهها صوب خدمة المثل الانسانية العليا.

وإننا لنجدد لكم تقديرنا العميق لجدوى هذا الملتقى العالمي الذي سيمكنكم من تبادل الرأي والمشورة فيما بينكم ويجعلنا نضع الثقة الكاملة في قدرتكم على تنبيه النفوس النبيلة وتحريك الإرادات الفاعلة نحو طريق الخير والمحبة والسلام. وأنتم جديرون بإرشادها إلى مكامن الثراء الروحي ذلك الثراء الذي يتجلى في الحوار والتعارف والمحبة بين المؤمنين من أتباع الديانات الروحية الثلاث.

شكر الله سعيكم وسدد خطاكم وكلل جميل أعمالكم بالتوفيق والنجاح. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط

يوم الخميس فاتح محرم 1418الموافق 8 ماي 1998.

الحسن الثاني ملك المغرب